**المحاضرة 4**

**المقاربات الكلاسيكية**

**الوظيفية (الكلاسيكية):**هي مفهوم يشير الى نظرية كبرى في علم الاجتماع، ثم طبقت في علوم أخرى كعلم السياسة وعلوم الإعلام والاتصال وعلم النفس وعلم النفس وعلم الإدارة، وهي تدرس الظواهر الاجتماعية من خلال تحليل وظائفها، أو تدرس المجتمع من خلال تحليل وظائف أنظمته النسقية. وتؤكد الوظيفية على فكرة التكامل على فكرة التكامل بين أنظمة المجتمع الفرعية للحفاظ على النظام الكلي ويتحقق التكامل داخل النظام الكلي عبر التنشئة الاجتماعية والمعايير الاجتماعية والأفكار والرموز الثقافية.

ويقصد بها اعتماد وحدة ما أو نظام ما في سلوكها العملي على مجموعة من الوظائف وتتجلى أهميتها في رصد الوظائف المراد تحقيقها من اجل السير الحسن لهذا النظام، مع الحرص على إحصاء كل العلاقات الممكن ان تترتب عن هذه الوظائف، من هذا يمكن القول أن الوظيفية، يمكن أن تكون إحدى الرؤى المفسرة لأي سلوك سياسي مما في ذلك التكامل، لذلك اعتمدت هذه الرؤية، من قبل منظرين في العلاقات الدولية، لتفسير التجربة التكاملية. وعليه فالنظرية الوظيفية أخذت مكانتها الى جانب باقي النظريات المفسرة للتكامل، حيث اهتمت بتفسير الحركات الاندماجية في المجتمع الدولي، وجعلت من المجال الاقتصادي منطلق أساسي لمبادئها.

تركز على وظائف الفاعلين السياسيين، وتعتبر القرار السياسي وكل ما يتعلق بالقرارات السيادية مسائل بالغة الحساسية من الضروري تحاشيها حرصا على نجاح التجربة التكاملية، وتدعو الى التركيز على الاهتمام بالتكامل في ميادين اقتصادية، فنية، اجتماعية،...

ميز الوظيفيون بين 'سياسات عليا' ذات حساسية يقصد بها الميادين المتعلقة بالسيادة، القرار السياسي، المجال العسكري، و'سياسات دنيا' أقل حساسية أكثر قابلية للتكامل، كالميادين الاقتصادية، العلمية، الثقافية...

يعتبر ديفيد ميتراني David Mitrany من أهم رواد النظرية الوظيفية، استقى أفكاره من موروث الحرب ع 2 في كتابه المشهور A Working Peace System سنة 1943. حيث نظر بإمكانية كسر الروابط التقليدية التي كانت تجمع بين السلطة والدولة، اعطى أهمية أكبر لشبكة النشاطات الاقتصادية والثقافية التي تواجدت بعد الحرب ع 2. بحيث كان اهتمامه على كيفية تحقيق السلم العام وتجنب الحرب في ع د محاولا صياغة استراتيجية تؤدي الى نظام او جماعية فوق قومية.

يرى الوظيفيون ان المجالات السياسية الدنيا أن تكون ذات مردودية ومنفعية على الجماهير، الأمر الذي يعزز ارتباط شعوب هذه الدول حول المصالح المتبادلة والانساق المشتركة، شريطة أن تكون التيارات السياسية لهذه الوحدات بعيدة عن منطق الإجبار والعنف، الى جانب ذلك أعطت هذه النظرية أهمية للجماعات الضاغطة والجماعات الوسيطة في نهجها لمسعى التكامل.

**الوظيفية الجديدة:** تعد الوظيفية الجديدة انعكاسا لحركة النقد الذاتي للوظيفية الكلاسيكية ومحاولة التكيف مع التطورات الجديدة في العلاقات الدولية التكاملية واستدراك مواطن الضعف والفشل في الوظيفية الكلاسيكية. في نهاية الخمسينيات حاولت مجموعة من المنظرين الامريكان وضع مقاربة تعتمد في أسسها على الوظيفية ولكنها تتجاوزها من حيث قدرتها على تعبير على بعض الجوانب التفسيرية للتكامل، حيث عجزت الوظيفية عن فعله.

تقوم الوظيفية الجديدة على أولوية صناعة القرار التدريجي وفق استراتيجيات كبرى. يعتبر ارنست هاس Ernest Haas أحد مؤسسي هذا الاتجاه حيث كان اهتمامه كنقطة انطلاق للدراسة التكاملية للتجربة الأوروبية بشرح وتحليل واقع العملية التكاملية من أجل الوصول الى اقتراحات حول طبيعتها.

يعتبر النيووظيفيون التكامل كمسار ويركزون على الظروف الابتدائية الملائمة للتكامل للوصول عبر الوسائل المتاحة الى ذروة التجربة (اكتمال التجربة التكاملية). أي يجب ان تتوفر نقطة البداية ثم تليها وسائل التكامل.

تعتني الوظيفية الجديدة بوجود ظاهرة تكامل في نختلف قطاعات في الدول تحت ضغط الاغراء الاقتصادي مع وجود تحكم مرافق للعملية (ميول جماعات الضغط والأحزاب السياسية نحو الاندماج).

اذا المنطلق الموسع للتكامل هو ما يسمى في الوظيفية الجديدة بفعل الانتشار spillover حيث السياسات لا تنجز الا في حالة توسيع نطاقها:

نقطة البداية مسار نقطة الوصول

فالتكامل قد يكون أولا اقتصاديا لكن يمكن ان يتطور اوتوماتيكيا نحو التكامل السياسي، بالنسبة لهاس لا يمكن للتكامل أن يتحقق الا في بـ:

* حجم الدولة (وزنها)
* حجم التبادلات
* التعددية (تعدد الأطراف المندمجة في التكامل خلال المسار)
* التكاملية

وحدات تحليل الوظيفية الجديدة:

1. الجماعة أساس السياسة: يبرز الوظيفيون دور الفاعلين كجماعات الضغط والأحزاب السياسة والافراد ومجموعات المصالح. هم فاعلون مهمون في عملية التكامل وتفاعلها وتناغمها كجماعات متعددة في ظل وجود قانون في ترقية التكامل. فهي ترى ان المجتمعات المرشحة للتكامل هي المجتمعات المركبة والمتعددة حيث تدفع الجماعات (النقابات، المجتمع المدني، مجموعات المصالح،...) بمسار التكامل حتى وان وجدت معارضة من السلطة السياية.
2. الانتشار spillover: وهي استدراك الانتقال الى وظائف أخرى وبالتالي تتوسع المهام كآلية تطورية توسعية يدفع بها التكامل ويشجعها. وهي عملية لا تخلو من العراقيل لذلك تخضع الى المزيد من المفاوضات وهندسة استراتيجيات تخطي هذه العراقيل حتى لا تظهر من جديد. من مظاهر الانتشار هو نشاط الجماعة الذي يمكن ان يحدث كنتيجة لتصاعد التوقعات وتغير القيم. هو عبارة عن نظام متنامي. بحيث يجب ان تكون هناك درجة من التفاعل بين دوافع النخب والانتشار.
3. سوابق الظروف الإقليمية: وتعني العوامل المؤيدة للتكامل التي تسبق وجود عملية التكامل أو تكون تمهيد لها كالتجارب والمحاولات التكاملية التاريخية أو تداخل الجغرافيا أو تداخل العوامل السوسيوسياسية.

**الاتصالية أو نظرية الاتصال:** تعتبر من النظريات ذات الديناميكية ذلك انها تعني بالتفاعلات الوحدات التكاملية كمدخل لتحقيق التكامل. هي ذات بعد سوسيولوجي أكثر من الوظيفية التي ظهرت في نفس فترتها. يعتبر كارل دويتش Karl Deutsch من أهم روادها، أوضح أن غاية التكامل تتمثل في مجتمع آمن يضم الوحدات المتكاملة وتختفي فيه كل احتمالات النزاع والحروب كما يؤكد على كون الاعتماد المتبادل عنصر تفعيل للتكامل.

إذا عامل الامن هو أسمى هدف للتكامل على اعتبار أن الامن هو الحالة الأساسية التي يتيح لكل أفراد المجتمع التمتع بمعظم القيم الأخرى، ويقصد بالامن قيام السلم وتدعيمه مع إضافة مضامين أخرى:

* ما بين الثروة والملكية والرموز -المؤسسات-العادات-الأيديولوجيات-احترام الذات كلها قيم جديدة يدافع عنها ضمن مجتمع تماملي حسب منظوره.

القيم اتصال  تفاعل  تكامل كما قام دويتش بتحديد مهام التكامل وشروطه وعوامل تفككه من خلال دراسة 14 حالة ميدانية في العالم، وخلصت دراسته الى القول بأن التكامل يهدف الى تحقيق 4 مهام:

* حفظ السلام
* التوصل الى توسيع الإمكانات وتعددها.
* انجاز المهام المحددة.
* تحقيق الذات وإعطاء صورة جماعية للمشترك التكاملي.

والجدير بالذكر أنه أوضح بعض المؤشرات الإجرائية القادرة على قياس درجة التكامل وهي تدخل في اطار شروط قيام التكامل التي تبدأ من المجتمع حسب رأيه:

- أهمية الوحدات بالنسبة لبعضها البعض.

- اتفاق القيم (انسجام القيم) ودرجة تشابه بعض الثوابت.

- التجاوب المتبادل.

- وجود درجة معينة من الولاء.

بالمقابل قام دويتش بتقسيم المجتمع الى:

1 مجتمع آمن مندمج. 2 مجتمع آمن متعدد

يتم التمييز بينهما انطلاقات من مبدأ المسعى من التكامل فان كان الهدف الرئيسي للتكامل ليس مجرد المحافظة على السلام بين الوحدات السياسية وانما اكتساب قوة أكبر لتحقيق الأغراض العامة من التكامل في هذه الحالة نكون اما ما يسمى بمجتمع سياسي مندمج. أما اذا كان الهدف الرئيسي من التكامل هو تحقيق السلام فقط فيكفي عندئذ تكوين مجتمع آمن متعدد وفي واقع الحال هذه الأخيرة هي اقرب للتحقيق.

ما يعاب في هذه المقاربة ان حجم التبادلات (كلما كبر) قد يؤدي الى التكامل وهذا لا ينطبق على الجزائر وفرنسا حيث تبادلاتها أكثر وأكبر من حجم تبادلات البرتغال واستونيا في الاتحاد الأوروبي.

لكن اسهامها الكبير يتمثل في بداية الابتعاد عن مركزية النظريات في ع د للتطرق الى الجوانب السوسيولوجية والأمنية التي افرزت المقاربة السوسيوبنائية.

**نقد النظريات الكلاسيكية**

عرفت النظريات نقدا فيما يخص تصورها للتجربة التكاملية وهذا لا ينفي مساهمتها الكبيرة فيها، وهذا حسب الظروف التي كانت تحيط بالنظام الدولي في كل فترة من ظهور النظريات. وكانت البداية تهدف الى تجنب الحرب باي طريقة ممكنة. فمثلا الوظيفية الكلاسيكية كانت عالمية دولية وينظر اليها انها اكثر هيكيلية وتتمتع بديناميكية تطورية غير مقنعة (غير واضحة) ووصفها الواقعيون غير فعالة وهذا راجع الى:

* يكون التكامل ممكنا الا في حالات جيوسياسية خاصة. ذكر هانس مورغانتو Hans Morgenthau التكامل هو محاولة فرنسا التحكم على قوة ألمانيا.
* التكامل من الأسفل الى السياسات العليا غير ممكن.
* واستمرار التكامل غير ممكن بسبب عدم الثقة المتبادلة. وتبقى الدولة الفاعل الحاسم في العملية التكاملية.

ومن جهة أخرى حاول دونالد بوشالا Donald Puchala الجمع بين رؤى الوظيفيين والواقعيين من جهة، والقوميين من جهة ثالثة حيث عرف التكامل على انه نسق توافقي حيث تحتفظ الدول القومية بالدور الأول كمنسق للتجربة التكاملية ولكن باشراك الفواعل الأخرى سواء كانت محلية، وطنية أو عبر قومية. فهذا الاشراك حسب رايه كفيل بتحفيز الاعتماد المتبادل. كما اعتبر ان هطا النسق يمكن ان يعتمد أسلوب المساومة والمقايضة كمعيار جديد للتكامل. وأخيرا اعتبر ان هذا النسق يأخذ بعين الاعتبار اسهامات النخب.

**نقد الواقعية الجديدة:** رأت ان الصراع سيحل مكان التعاون داخل المجموعة الأوروبيةبعد انهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1990 وأن فعل الانتشار سيمس فقط السياسات الدنيا (وان المجموعة الأوروبية هي فقط رد فعل الحرب الباردة). يذكر ان نقد الواقعية جاء جراء الحظر البترولي في السبعينيات.

هي لا تفسر بعض موجات التكامل الأوروبية كالوثيقة الموحدة لأوروبا ومعاهدة ماستريخت.

لا تفسر تنامي الثروة الألمانية داخل المجموعة.

**مقاربة التوافقية**

**Consociativisme/consociationalism**

من اهم روادها هو المفكر اراند ليجفارت Arend Lijphart ولد هولندا سنة 1936. تعتبر من بين النظريات المهمة للسياسة المقارنة التي حظيت بأثر عميق على مفكري وممارسي الحوكمة الديمقراطية .democratic governance يعود الفضل الى رائدها ليجفارت الذي أنتج هيكل فكري مكثف للأدبيات الخاصة لهذه المقاربة. ايمانا منه بأن الصراعات ذات النزعة الانفصالية يجب تكييفها وتوفيقها ثم تسويتها. إذا الفكرة هي إقامة إطار للتكييف بشكل تجريبي ومعياري.

 واصطلاحا تعني تكييف وتوفيق

أساسها أن المناطق اتي تعرف نزاعات التي تميل الى الانقسام العميق فان حكم الأغلبية يكون أقرب الى الديكتاتورية ومن اجل ذلك يجب ان تركز في هذه المناطق على الاجماع بدل المعارضة opposition والادماج بدل الاقصاء أو الاستبعاد exclusion.

هي عملية تعتمد على تعاون النخبة باجماع ممثلي مختلف الطوائف على التنسيق والتعاون collaborating في اطار العملية السياسة.

من اهم مؤلفات Lijphart :

* *The Politics of Accommodation: Pluralism and Democracy in Netherlands,* (Berkeley: University of California Press, 1968).
* *Patterns of Democracy: Governments Forms and Performance in Thirty-Six Countries*, (New Haven: Yale University Press, 1993).
* *Democracy in Plural Societies: A Comparative Exploration,* (New Haven: Yale University Press1977).